

أثر مجالس الأُنس والسمر في العبث بالأخبار الجاهلية في روايات كتاب الأغاني إنموذجاً

الباحث: ليث عادل محسن
أ.د. كاظم حمد محراث
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

بيّن هذا البحث أن بعض روايات حكايات الغرام سُردت امتاعاً للقراء وموانسة لهم، وكان نسيجها من ملكة ومخيلة الرواة الذين اشتهروا بالقصّ، الذين اعتادوا الناس في سماع حكاياتهم الأدبية بأساليب طريفة تلامس الذائقة الشعبية وعامة الناس، وذلك أدى إلى إنشاء طبقة أو فئة اشتهرت بمتاجرة الروايات والقصص الغرض منها جلب المال.. إذ زيادة الطلب أدت إلى زج الأخبار والروايات المنسوجة من مخيلاتهم بكثرة وبمنافسة في تلك الأسواق، دون الحرص في البحث والتقصي عن مصادرها الصحيحة التي نقلتها، وأوهمو القراء بأسانيدهم المفترضة الموضوعية، وراجت هذه الفئة وزاد خطرهما في الموروث التاريخي للأدب عامة، وإذا بنا في هذا البحث أن نضع أيدينا على قسم منها في عصر ما قبل الإسلام.

أما آلية دراستنا قصص مجالس الأُنس والسمر التي نشك في صحتها ونظنها من صنع الرواة، فهي:-
عرض روايات كتاب الأغاني على المصادر التاريخية والأدبية التي سبقته في التأليف.
- فحص أسانيد الروايات، بالعودة إلى مصادر تراجم أعلام الشخصيات، فوجدناها أسانيد مفترضة موهمة القارئ باطمئنانه لصحة الخبر.
- تحقيق الشعر بالعودة إلى الدواوين الشعرية والمجموعات والاختيارات وغيرها.

Summary

This research showed that some of the novels of love stories were given to the readers and enjoyment of them, and its fabric was from the queen and imagination of the narrators who were famous for the story, who used to hear their literary tales in funny ways that touch the popular taste and the general public, and this led to the creation of a class or class known for trading novels and stories. Its purpose is to bring in money .. As the increase in demand led to the abundance of news and narratives woven from their

imaginations in abundance and competition in those markets, without keenness in searching and exploring the correct sources that they conveyed, and they deluded the readers with their supposed putative prophets, and this category increased and increased its danger in The historical legacy of literature in general, and if we seek in this research to lay our hands on a section of it in the pre-Islamic era.

ذكر أبو الفرج روايات ماجنة في أخبار الشعراء الجاهليين ، ولاشكّ هناك دوافع عصبية و نفسية شعوبية دفعت بالرواة و أبي الفرج إلى وضع هذه الروايات ، فنذكر " أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا عيسى بن تينه قال : حدّثني القحّمي قال : كان ابن الغز ... فكان إذا أنعظ ... ، قال : وكانت في إيداء امرأة تستصغر..."(١)

ونذكر سندا آخر في نهاية الرواية قال " أخبرني عمّي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن

عدي بنحوه"

ففي سلسلة رواية الخبر وردت ألقاب ليست معروفة! بل أنها ألقاب شائعة تتداخل مع ألقاب كثيرة مثلها ، فهي بهذا الوصف تثير الشك والانتباه. فهل تعمّد أبو الفرج وضع ألقاب لشخصيات ليست معروفة من أجل تسويق أخباره ؟ فمن عمّه الذي قصده ؟ ولماذا لم يفصح عن اسمه ؟ وأيّ عمري هذا؟ هذا اللقب الذي تزدهم به مصادر أعلام الشخصيات.

وما يزيد شكنا في كون السند مفترضا ، والخبر موضوعا أننا لم نعثر عليه في المصادر الأدبية الأخرى ، وكذلك لم نعثر على المثل المزعوم في هذه الرواية في كتب الأمثال الموجودة عندنا : كتاب الأمثال للمفضّل الضّبي والأمثال لأبي عبيدة والأمثال للأصمعي ، وكان الهيثم بن عدي معاصرا للأصمعي وأبي عبيدة.

ووجدنا في بعض المصادر خيرين في سبب حصول هذا المثل ، الأول عند الزمخشري "

أريها السهي^(٢) وتريني القمر هو كوكب صغير خفي في نجوم بنات نعش و أصله أنّ رجلا كان يكلم امرأة بالخفي الغامض من الكلام وهي تكلمه بالواضح البين ، فضرب السهي والقمر مثلا لكلامه وكلامها ؛ يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئا فأجابته بخلاف مراده ، قال :

شكونا إليه خراب السواد فحرم فينا لحوم البقر
فكنا كما قال من قبلنا أريها السها وتريني القمر^(٣)

وهذه الرواية مقبولة منطقياً وأخلاقياً أكثر من رواية أبي الفرج المضطربة المشكوك بصحتها. وقد اعتمد على كلام الزمخشري في أصل المثل " أريها السها وتريني القمر " العلامة المجلسي (بحار الأنوار) ، وبين إنكاره لرواية أبي الفرج التي نقلها الميداني في مجمع الأمثال ، حيث قال " وأتي بهذا المثل في مجمع الأمثال على وجه آخر لا يناسب المقام ... " ^(٤) والخبر الثاني عند أبي هلال العسكري في جمهرة أمثاله وهو رواية أبي الفرج نفسها وكان الميداني قد نقل عنه^(٥)

وفي رواية أبي الفرج إشارة خطيرة جدا إلى عبث الرواة و صنعهم أخبارا أو همت بعض المؤلفين بأنها هي الأصح من غيرها ، أو سوق لهذه الروايات من لديه تحامل ومسخرة على أمثال العرب ، وأنهم كانوا ينتجون هذه الأخبار من مصادر حقيقية أصلية ثم ينطلقون في أقاويل وروايات مضطربة فيها دسّ وتحامل على قبيلة ما أو عرق أو فرقة أو طائفة ، فهم كانوا يمتازون بالحنق والمهارة...^(٦)

وهناك رواية أخرى قريبة في أمرها من هذه الرواية هي :- "أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني عبد الله بن طاهر قال : قال أبو محمّد : أخبرني ضرار بن عبيدة أحد بني عبد شمس ، قال : كان الأضبط بن قريع مفركا ، وكان إذا لقي في الحرب تقدم أمام الصف ، ثم قال :

أنا الذي تفركه حلائله ألا فتى معشّق أنازله !

قال : فاجتمعن نساؤه ذات ليلة يسمرن ، فتعاقدن على أن يصدقن الخبر عن فرك الأضبط فأجمعن أن ذلك لأنه بارد الكمره ، فقالت لإحدهن خالته: أتعجز إحداكن... " ^(٧)

أما الاضطراب الذي حصل في سند الخبر ، فلم أجد في كتاب الأعلام غير اسم واحد (عبد الله بن طاهر) وكانت وفاته ٢٣٠هـ وكان حاكم خراسان ... ^(٨) إذ لم يكن مهتماً برواية الأخبار أصلا ، ولم أعثر على هذا الاسم في بغية الوعاة للسيوطي ، فهذا الأمر ما يضعف من صحة الخبر المروى ، ونسأل : أليس لنا الحق في الشك حين نقارن تاريخ وفيات الرجلين جعفر بن قدامة المتوفى سنة ٣١٩هـ ، وعبدالله بن طاهر المتوفى ٢٣٠هـ؟! فهل عاصره و روى عنه؟ فمصادر الأدب لم تخبرنا عن جعفر بن قدامة بأنه عمّر لفترة طويلة وكان شيخا كبيرا. ثم أننا بحثنا جاهدين في مصادر التراجم منها: الأعلام و الوافي بالوفيات وتاريخ بغداد عن تاريخ سنة ميلاده ، فلم نعثر على أي شيء

غير سنة وفاته فقط في كتاب الأعلام . وهذا ما يجبرنا على أن نناقش القضية بافتراضات علمية بحثاً عن صحة السند.

إننا لم نجد في ترجمة ابن قدامة من يقول إنّه عمّر أو عاش زمناً طويلاً أو كان شيخاً كبيراً ؛ لأنه لو كان فعلاً روى عن عبد الله بن طاهر لا بدّ أن يكون عمره أكثر من مائة سنة ، وهذا عمر يلفت نظر المؤلفين ويدفعهم الإشارة إليه ، ف عبد الله بن طاهر توفي ٢٣٠ هـ ، وإذا كان جعفر قد روى عنه ، فلا بدّ أن يكون عمره أكثر من ٢٠ سنة ، أي نقل عنه هذا الخبر افتراضاً وتقديراً . في سنة ٢١٠ هـ ، وهو سنّ مناسب لمن يبدأ حياته في طلب العلم والاهتمام فيه ؛ فبذلك سيكون عمر جعفر بن قدامة (١٩٠ هـ . ٣١٩ هـ) تسع وعشرين ومائة سنة (١٢٩ سنة) وهذه فترة نادرة في حياة الأدباء ، ولأشار الكتاب والمترجمون إلى أن جعفر بن قدامة كان شيخاً كبيراً معمرًا، وهذا ما لم نجده مذكوراً عندهم. فأمر هذا السند صعب تصديقه، ولا يمكن الاطمئنان إلى خبره المرّوي، وربما مفترض.

وكذلك فإنّي لم أعر على اسم (ضرار بن عُبَيْنة أحد بني عبد شمس) في أكثر من (١٠٠٠) ألف كتاب في التراجم والطبقات والتاريخ والآداب في الموسوعة الشاملة ، فضلاً عن مصادر التراجم و كتاب الأعلام وغيرها.

وكانت أخبار الأضببط بن قريع قليلة جدّاً في المصادر التي ترجمت له ، ولم أعر على هذا الخبر المرّوي في كلّ المصادر الأدبية الأخرى. ووقف جامع شعر بني تميم في تخريج البيت الشعري المذكور على الأغاني من بين المصادر الأدبية القديمة^(٩)

ونكر أبو الفرج " قال حمزة : وأحبّ تأبّط شرا جارية من قومه ، فطلبها زمانا لا يقدر عليها ، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته وأرادها فعجز عنها ، فلما رأته جزعه من ذلك تناومت عليه فأنسته وهذا ثم جعل يقول :

ما لك من [...] سُلَيْبِ الخَلَّةِ عجزت عن جارية رقله

تمشي إليك مشية خوزله كمشية الأرخ تريد العله " (١٠)

روى أبو الفرج أكثر من رواية في الإساءة إلى شخصية الشاعر الصعلوك تأبّط شرا، فيما مضى بالمبحث الأول روى أنه كان استجار عند امرأة عندما لحقه القوم ، وهنا إساءة مرّة أخرى لشخصيته ، وخبر هذه الرواية مبعث السخرية والعبث بأخبار أحد الصعاليك تأبّط شرا.

وكان أبو الفرج ذكر سند هذه الرواية بالصفحة الماضية من كتابه، وسندها " أخبرنا الحسين بن يحيى قال : قرأت على حمّاد : وحدّثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللهبي قال: ". فمن هذا الحسين بن يحيى؟ ولماذا لم يذكر لقبه أو كنيته أو صفة كان قد اشتهر بها حتى يعرف من غيره؟ وهل كان ذكر أسماء السند بهذا الشكل هروبا من الذين يرصدون زلات الرواة الوضّاعين ، وإيهام القراء بصحة الخبر لأنه مسنود وموثّق بألفاظ تدعو للاطمئنان وأنّ الخبر صحيح^(١١) ووجدتُ في كتاب الأعلام اسم شخصية كبيرة ورواية للحديث اسمها الحسين بن يحيى^(١٢) متوفى ٣٣٤هـ، وكان معاصرا لأبي الفرج، ولا يمكن أن يروي مثل هذه الأخبار التي لا تناسب مقامه ولا مكانته كراوٍ للحديث النبوي.

ولم أعر على هذا الخبر في المصادر القديمة التي ترجمت أخبار الشاعر تأبّط شرا ، منها الشعر والشعراء وأسماء المغتالين من الشعراء وغيرها ، والبيتان لم يخرّجهما محقق الديوان إلّا من الأغاني ، ولم يذكر أنّهما وردا في المصادر القديمة .

ونذكر أبو الفرج قصة حاتم وماوية بنت عفزر " قال : وكنا عند معاوية ، فتذاكرنا ملوك العرب حتى ذكرنا الزّباء وابنة عفزر ، فقال معاوية : إني لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم ، وماوية بنت عفزر ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك ... فقال : إن ماوية بنت عفزر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت ... " (١٣)

خبر هذه الرواية مضطرب ومختلط إلى حد ما يصعب فهمها بالشكل الصحيح ؛ وذلك لأننا لم نعرف أبا ماوية امرأة حاتم إلّا في هذه الرواية المضطربة (ماوية بنت عفزر). واستنكر محقق الديوان أن تكون ماوية امرأة حاتم ملكة ، وأشار إلى أن خبرها مضطرب ، حيث قال " على ما في خبر ماوية من الاضطراب ، وربما من المبالغة . لما وصفت بأنها ملكة . يمكن لنا أن نستظهر من أخبارها أنها كانت امرأة شريفة لا يطمح إليها إلّا كرام الرجال ... " (١٤) وأظنه رأيا مصيبا، وهو يشكّ بالأوصاف المسيئة التي وُصِفَتْ بها امرأته ماوية، وأغلب الظن أن مصدر هذه الأوصاف النفس القبلي ضد حاتم الطائي في محاولة الإطاحة بمجد حاتم والإساءة إلى مكانته الكبيرة في المجتمع العربي عندما قالوا " ... فقالت : استنقم إلى الفراش ، فقال : حتى أخبرك ، وقعد على الباب ، وقال : اني أنتظر صاحبين لي ، فقالت : دونك أستدخل المجرم . فقال : استي لم تعود المجرم ، فأرسلها مثلا ، فارتابت منه ، وسفته خمر ليسكر ، فجعل يهريقه بالباب ولا تراه تحت الليل .

ووجدنا ابن منظور يقول " عفزر : العفزر : السابق السريع . و عفزر اسم أعجمي ، ولذلك لم يصرفه امرؤ القيس في قوله :

أشيمُ بروقَ المزن أين مصابه ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا

وقيل : ابنة عفزر قينة كانت في الدهر الأول لا تدوم على عهد فصارت مثلا ، وقيل: قينة كانت في الحيرة وكان وفد النعمان إذا أتوه لهوا بها . و عفّزان : اسم رجل ^(١٥) ولم يذكر ابن منظور من رواية أبي الفرج شيئا ، فإذا نفسر ونفهم هذا التجاهل في عدم ذكرها أو الإشارة إليها ، وكان ابن منظور قد قرأ كتاب الأغاني بأكمله واختصره في ثمانية أجزاء! و نجد في شعر حاتم أنه قصد بابنة عفزر هذه القينة التي طلبته:

واني لمزج للمطي على الوجى وما أنا من خلانك ابنة عفزرا

وكذلك البيت الآخر :

تغيّرتُ إني غير آتٍ لربية ولا قائل يوما لذي العرف منكرا

ففي هذين أكثر من إشارة هي ، أنّ ابنة عفزرا كانت كما قال ابن منظور ، فهي قينة في الدهر الأول بلليل أن الشعراء ذكروها بهذا المعنى، ومنهم امرؤ القيس وحاتم الطائي ، وإشارة أخرى وهي في صميم موضوعنا أن ابنة عفزر ليست زوجته بل امرأة تهوى الرجال وتطلبهم. ولو كانت ماوية امرأة حاتم هي فعلا ابنة عفزر ، لأشار إلى ذلك ابن منظور عندما تحدّث عن كلّ الاحتمالات بالمقصود ب ابنة عفزر!

وأما خبر ذهاب حاتم لخطوبتها " وذكروا أن حاتما دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأناها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلا من الأنصار من النبيت؛ فقالت لهم: انقلبوا إلى رحالكم، وليقلّ كلّ واحد منكم شعرا يذكر فيه فعالة ومنصبه، فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم. فانصرفوا ونحر كلّ واحد منهم جُزورا، ولبست ماوية ثيابا لأمة لها وتبعتهن، فأنتت النبيتِي فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل جملة فأخذته، ثم أنتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها دَنبَ جَزوره فأخذته، ثم أنتت حاتما ..."^(١٦) فهو أيضا خبر مشكوك فيه؛ لأن من وجده حاتم عندها لم يكن من جيله ومساو له في العمر، فالنابغة الذبياني مات قبيل الاسلام بسنوات، وكان حاتم متوفى ٥٣ق.هـ، فالفارق الزمني بينهما كبير، ولا يمكن أن يجتمعا في أمر خطوبتها. وكان الزبير ابن بكار ذكر أن حاتم وجد عندها زيد الخيل، و زيد الخيل مخضرم أدرك الإسلام، وأيضا فارق العمر بينهما كبير، ولا يمكن أن يجتمعا في أمر خطوبتها^(١٧)

وبعد أن عرضنا ما تيسر لنا من الدلائل في حقيقة ابنة عفزر، أظن أن الرواة وضعوا من عندهم بدون أي دليل نسب ماوية امرأة حاتم، و زعموا أنّها ابنة عفزر اعتمادا على الشعر الذي ذكره

حاتم فيها حينما طلبته و رفضها وهرب منها. وحتى الملكة الزباء لم أعر على اسم أبيها في المصادر التاريخية، وما ذكرت أن اسمه عفزر! وهذا دليل آخر يؤكد أن ما سيقته من أخبار على هذا الاسم هي من صنع الرواة ولا صحة لها أصلاً، وأنهم سردوا هذه الحكايات مستعينين بالتراث الاسمي القديم الذي لا نعرف من أمره شيئاً، وهو (ابنة عفزر).

وكذلك هذه الرواية تؤكد ما قلناه في نسب أبي الفرج الروايات الضعيفة الشاذة إلى ابن الكلبى، ولماذا كان متحاملاً عليه؟ فقد ذكر أبو الفرج روايتين في خطبة دريد بن الصمّة للخنساء، وكانت الأولى تامّة السند، وكرتها المصادر القديمة؛ لكن الرواية الثانية تفرد بروايتها أبو الفرج عن ابن الكلبى، وهي ضعيفة منحولة، فقال: " وقال ابن الكلبى: قالت لأبيها أنظرنى حتى أشاور نفسى، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها: انظري دريد إذا بال، فإذا وجدت بولّه قد حرق الأرض بقيّة، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه، فأتبعته وليدتها ثم عادت إليها فقالت: وجدت بولّه قد ساح على وجه الأرض، فأمسكت. وعاود دريد أباهاً فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة؛ ثم أنشأت تقول: " (١٨)

فهذه الرواية لم تكن ضعيفة ومنحولة فحسب؛ بل فيها من الأثر النفسى والتعصب في نسبة روايتها لابن الكلبى شيء كثير، ربما يكون لانتماء الرجلين المختلف أثر في هذا النقولات. ولدينا أكثر من دليل على أنّ ابن الكلبى متهم بروايتها:

الأول: سند الرواية: فمن أين حصل أبو الفرج على هذه الرواية؟ ومن أخبره بها؟ ومن الذي روى له هذه الرواية عن ابن الكلبى؟ وماذا نفسّر هذا القطع في سلسلة مصدر رواية الخبر؟

فابن الكلبى متوفى ٢٠٤هـ، وأبو الفرج الراوى للخبر عنه مولود سنة ٢٨٤هـ! فبين ابن الكلبى وأبي الفرج فترة زمنية طويلة تفترض أن يكون بينهما راوٍ وناقل وموصل للخبر، وإذا لم نعثر على هذا الراوى سيكون حكمنا على الخبر أنه كذب ولا صحة له أصلاً، وأنه موضوع من قبل الرواة. وهذا عبث واضح من أبي الفرج في فرض الأسانيد والأسماء.

وإننا لم نعثر على هذه الرواية في المصادر القديمة التي ذكرت الرواية الأولى، وتفرد بروايتها أبو الفرج وحده، وأشار الدكتور محمد القاضي إلى هذه القضية في زيادة الأخبار، قال " إن هذه الحيوية المفرطة التي يختص بها الخبر، فتمكنه من أن يغيّر حدوده وملامحه باستمرار، تتجلى لنا في مظهر آخر وسمناه بالتضخيم. ونعني به أنه يوجد الخبر الواحد... في صيغتين أو أكثر على نحو يدل... أن الأصل واحد، غير أن اعترته ضروب التغيير جعلته يرد في صورة جديدة، ولسنا نعني بالأصل الوقائع... وإنما وحدة الأصل عندنا هي الصيغة الأولى التي وصلت إلينا مجسّمة في نصّ

نرجّح أن يكون قد استخدم مادة أولية لصناعة خبر ثانٍ ... " (١٩) وهذا ما نظنّه قد حصل فعلا في هذه الرواية.

وذكر أبو الفرج " أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبّه قال حدّثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا محمد بن داود الهشامي قال: كان لذي الإصبع أربع بنات وكنّ يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهن فيستحينّ ولا يزوجهنّ، وكانت أمهنّ تقول: لو زوجتهنّ! فلا يفعل. قال: فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمنّ فقلنّ: تعالينّ نتمنّى ولنصدق، فقالت الكبرى : ... " (٢٠)

لم أعثر على هذا الخبر في المصادر القديمة التي ترجمت أخبار ذي الإصبع، منها الشعر والشعراء و شرح المفضليات والاشتقاق وغيرها. ولم تذكر هذه المصادر أيّة معلومة عن بناته الأربع أنّهنّ كنّ ينشدن الأشعار.

وبيّن محقق الديوان شكّه في أمر هذا الخبر قال: " والذي في النفس من هذا الخبر ما يدفعنا إلى القول: إنه ليس ببعيد أن يكون موضوعا، مصنوعا محمولا على ذي الإصبع من قبل أصحاب الأخبار، وتسقطه أصحاب الأمثال، فأوردوه في رواياتهم، فإنّ التكلّف فيه مائل للنظر، والله أعلم " (٢١)

وإنّ بعض هذه الأشعار منحول من شعراء فحول، فقول البنت " الكبرى:

طبيب بأدواء النساء كأنه خليفة جان لا ينام على وتر " (٢٢)

فالشطر الأول منقول من قول الشاعر علقمة الفحل :

" فإنّ تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب "

وقد ذكر الدكتور طه حسين في أكثر من موضع مشيرا إلى وضع الرواة لهذه القصص يقول: " للعرب خيالهم الشعبي، وهذا الخيال قد جدّ وعمل واثمر، وكانت نتيجة جده وعمله واثمارة هذه الأفاصيص والأساطير التي تروى لا عن العصر الجاهلي وحده بل عن العصور الإسلامية التاريخية أيضا ... " (٢٣)

ويقول في هذا الصدد أيضا " على أننا لا ننكر أن كثيرا من هذا الشعر قد نحله القصاص وتكأفوه تحلية لقصصهم وتزيينا لها وتعليلها لما ورد فيها من الأخبار " (٢٤)

ونذكر أبو الفرج " أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار... حدثني عمر بن شبة ولم يسنده إلى أحد و روايته أتم: أنّ عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب . وقال عمر بن شبة: إن مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصة . فقام إليه معبد بن خالد الجدلي، وكان قصيرا دميما، فتقدّمه إليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبد: فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنت؟ فسكت ولم يقل شيئا وكان منا، فقلت من خلفه: نحن يا... من جديلة ... " (٢٥)

هذا الخبر موجود نفسه عند الطبري في تاريخ الملوك والرسل ج ٦/١٦٣ المشكلة أن ما يُشكك في كون الخبر من وضع الرواة هو الطريقة التي سردَ فيها، فهي طريقة قائمة على الحوار الذي كان يدور في فلك الرواية من أولها إلى آخرها، وهي بنصّها هذا قريبة إلى العمل الروائي أو المسرحي الخيالي، والحوار هو الأساس في النص المسرحي (قال و قلت بطريقة مكررة)، وكأنها جزء من نصّ مسرحي كوميدي، موزّعة فيه الأدوار بين شخصيتين رئيسيتين وشخصيات ثانوية قدّمت عملا فنيا رائعا للقارئ.

وإذا أردنا أن نعدّ هذا الخبر حقيقة تاريخية فما هي الحقائق التي كشفها لنا، بل كان هذا الخبر جمع معلومات سابقة عن نسب ذي الإصبع وقبيلة عدوان، حتى نسجها الرواة على شكل نص يوحى للبعث أنه حقيقة تاريخية وأين هو من ذلك! وإن أراد هذا الخبر أن يدل على شيء فهو يدل أن مجالس الخلفاء كانت تكتظ بمثل هؤلاء الرواة . وكانت في بعض الأحيان بؤرا مفتوحة للوضع والزيادة من روايات مكذوبة . الذين يؤنسون الخليفة بأحاديث وقصص أسمار يحصلون من وراء وضعها المال والعيش بنعيم.

ونذكر أبو الفرج روايتين مضطربتين في زواج عدي بن زيد العبادي من هند بنت النعمان، ففي الرواية الأولى قال " أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال ... حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه قال: كان عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب الشاعر العبادي يهوى هند بنت النعمان بن المنذر...ولها يقول:

علق الأحشاء من هند علق مستسرّ فيه نصب وأرق

وهي قصيدة طويلة...قال ابن الكلبي: وقد تزوجها عدي " (٢٦) فخير أن عديا كان يهوى هند بنت النعمان! لا يدعو إلى الاطمئنان، ألم تخبرنا روايات الأغاني نفسها بأن المنذر أبا النعمان ألقى ابنه النعمان في حجر عدي عندما كان صغيرا، وقضية سعي عدي بن زيد عند كسرى في جعل

النعمان ملكا على الحيرة من بين أخوته، ولعل من الحقّ علينا أن نذكر ما قاله الدكتور محسن غياض في روايات الاغانى " ولم يكن أبو الفرج في كتابه هذا باحثا علميا مدققا، فهو لا يناقش الأخبار، ولا يوازن بين الروايات، فقد يكرّر الخبر الواحد في أكثر من موضع بصيغ مختلفة، وقد يذكر الخبر ونقيضه، في صفحة واحدة، وقد ينسب الشعر لشاعر في موضع، ولغيره في موضع آخر... وقد ترك أبو الفرج للأجيال التي تأتي بعده اليوم أو غدا مسؤولية غزيلة تلك الأخبار ومناقشتها، ودراسة الشعر والشعراء من خلالها على أسس رصينة من البحث العلمي و قواعده "(٢٧) لكنّ هذا لا يعني أن نبرّئ أبا الفرج من الوضع والعبث في بعض الروايات كما ذكرنا فيما مضى. وقد أشار إلى عبثه الدكتور محسن غياض عندما قال " فقد يكرّر الخبر الواحد في أكثر من موضع وبصيغ مختلفة " فهذه إشارة إلى أن أبا الفرج كان يتلاعب ويعبث ويزيد ويغيّر في الأخبار والروايات، ويجعل من الرواية روايتين أو أكثر. نعم أنا أعرف أحيانا يختلف الرواة في أمر خبر ما ويذكرون أكثر من خبر، وهذا شيء جيد قد قدّمه أبو الفرج؛ لكن كان عبثه واضحا في بعض الروايات . ولاشكّ كانت من وراء تكراره الخبر بصيغ مختلفة و زيادته أسباب كثيرة، منها: المتاجرة بالأخبار، واستقطاب جمهور القراء، والقدرة على وضع القصص، والبحث عن الشهرة الأدبية في سعة كتابه وغزارة مادته وضخامتها.

فهنا ذكر أبو الفرج روايات من الصعب قبولها؛ لأنه نفسه نقل لنا فيما مضى من الروايات التي فيها حقائق تاريخية عن عائلة الملك المنذر بن النعمان و موقف أهل الشاعر عدي بن زيد منه. والأمر الذي يجعلنا نشكّ في هذه الرواية، أن عديا أكبر سنّا من النعمان فكيف تزوّج ابنته هند كما تزعم هذه الرواية!

ولم أعثّر على هذا الخبر في المصادر الأدبية التي ترجمت أخبار الشاعر منها: طبقات فحول الشعراء والشعر الشعراء والاختيارين للأخفش وغيرها.

وكان محقق الديوان خرّج الشعر الموجود في هذه الرواية من الأغاني؛ وكان بعد هذا البيت الذي ذكره أبو الفرج:

" من لقلب دنف أو معتمد قد عصى كل نصوح ومفد "

أبيات أخرى، ليس فيها إشارة إلى أنه كان يهوى هند بنت النعمان؛ بل كان قد ذكر سلمى بالبيت الثاني:

" لستُ في سلمى ولا جاراتها سامعا فيها إلى قول أحد "(٢٨)

أما في الرواية الثانية المضطربة السند، قال " وقال ابن أبي سعد، وذكر ذلك خالد ابن كلثوم أيضا قالاً: إن سبب عشقه إياها أن هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها، وأمها مارية الكنديّة؛ فخرجت في خميس الفصح، وهو بعد السّاعفين بثلاثة أيام ... " (٢٩)

سند هذه الرواية مضطرب فأبو الفرج يذكر أنه روى عن خالد بن كلثوم الكوفي، ولم يكن في عصر أبي الفرج ولا رآه ولا سمع عنه، وجعله الزبيدي في الطبقة الثانية من اللغويين الكوفيين (٣٠) فلا بد أن يكون بينهما راوٍ ناقل للخبر، فمن الذي نقل الخبر لأبي الفرج؟ وما اسمه؟

أما الاضطراب والخلط في نص الرواية، تذكر الرواية أنه حصل ذلك " في ملك المنذر ... والنعمان يومئذ فتى شاب " وهذا الكلام قريب إلى الصّحة أن تحصل في هذه الفترة قصة عدي مع هند، وهو أقرب إلى الصّحة من الرواية الأولى في أن تحصل هذه الحادثة في زمن المنذر لا النعمان؛ لكن المشكلة أن هذه الرواية الثانية لم تستمرّ بالحديث الصحيح عن هذه القصة، و وقعت بالاضطراب وكانت كحال الرواية الأولى في العبث والاضطراب والخلط؛ لأنها تقول: فلما كان بعد حول وجاؤوا إلى مكان البيعة... ذهبت الأمة إلى النعمان وأخبرته بقصة هند وعدي فاحترار وسألها ماذا يفعل؟ (٣١)

كيف نصتّق هذه الحكايات! ألم يكن النعمان فتى شاباً في العام الماضي، وأنه كان قد حدث ذلك في ملك المنذر؟ فهذا السرد جاء بأسلوب الحكاية التي لا تراعي حدود الزمان ولا حدود المكان ولا المنطق أيضاً، ونراه يبتعد عن التروي في نقل الخبر، وتفسيرنا لهذا العبث والاضطراب أن هذه الرواية هي من حكايات الرواة الذين لا تهتمّ الحقيقة التاريخية بقدر ادّعاء العلم وتسويق الأخبار.

وإذا كانت هذه القصة قد حدثت فعلاً، فأظنّ أنه من الأرجح أن تكون هند بنت المنذر وأخت النعمان. وكان ابن حبيب قد أشار إلى أنّ هنداً أخت النعمان " قال ابن حبيب: وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة " (٣٢) وهو رأي قريب إلى الصّحة.

وذكر أبو الفرج " أخبرني عمّي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن هشام بن محمد بن الكلب عن أبيه والشرقي بن القطامي قالاً: مرّ المغيرة بن شعبة لَمّا ولّاه معاوية الكوفة بدير هند، فنزل ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها، فأذنت له وبسطت له مسحا فجلس عليه، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال: جئتك خاطباً؛ قالت: والصّليب لو علمت أنّ فيّ خصلة من جمال أو شباب رغبتك فيّ لأجبتك... " (٣٣)

لم أعر على هذا الخبر في المصادر التي ترجمت أخبار المغيرة بن شعبة، منها: سير أعلام النبلاء ج٣/٣٩١٧ و مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ابن منظور ٢٥/١٥٤.١٨٢. ذكرنا في الروايتين الماضيتين أننا نرجح أن هند بنت المنذر وأخت النعمان لابنته. فهل كانت هند بنت المنذر قد عاشت طيلة هذه المدّة كلها حتى خطبها المغيرة بن شعبة؟ وعلى افتراض الرواية الماضية أن هذا كان عمرها ١١ سنة في خبر البيعة، وكان النعمان فتى شاباً، أي عمره تقديراً (٢٠-٢٥ سنة) في ملك أبيه، فهو أخواها أكبر منها سنّاً. ولنفترض أن عمر النعمان هذا (٢٠-٢٥) كان قبل عشر سنوات من فترة تسلّمه الحكم بعد أبيه، أي عام ٥٧٢م؛ لأن حكمه بدأ (٦٠٩.٥٨٢ م) أي أن هند كان عمرها تقديراً ١١ سنة عام ٥٧٢م، وهي الفترة التي كان فيها النعمان فتى شاباً.

ثمّ فهل عاشت هند بنت المنذر . تقديراً من هذا العام ٥٧٢ الذي كان عمرها ١١ سنة . إلى فترة ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة بزمن معاوية؟ فكم سنة سيكون عمرها؟ وهل يعقل أنّه خطبها؟ فمن عام ٥٧٢م (المقدّر) الذي كان فيه عمر هند بنت المنذر ١١ سنة إلى بداية التاريخ الهجري ٦٢٢م يكون عمرها ٥٠ سنة، وكان معاوية أخذ الحكم سنة ٤١هـ والمغيرة تولى الحكم على الكوفة ما بين (٥٠.٤٥) تقديراً لأنه توفي في الكوفة سنة ٥٠هـ.

وبذلك سيكون عمر هند بنت المنذر أكثر من ٩٠ عاماً. فهل عمّرت إلى هذا السنّ؟ وهل يعقل أنّ المغيرة سيخطبها وهي بهذا العمر؟ فأغلب ظنّنا أن رواية خطبة المغير بن شعبة لهند بنت المنذر هي من ألاعب الرواة ووضعهم، وكان المغيرة بن شعبة الشخصية الأنسب في تقبله مثل هذه الاتّهامات وجرى أن تعلق عليه؛ لأنه مكثّر في تزويج النساء^(٣٤).

وذكر في أخبار هند أيضا " وقد روى عن ابن الكلبي غير علي بن الصّبّاح: في هند أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة أحبّت امرأة في العرب، فإن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً... وبلغ هند خبرها فترهبت و لبستّ المسّوح وبنت ديرا يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت"^(٣٥)

فدّد محققو الكتاب هذا الكلام جملة وتفصيلاً، فلا صحّة له؛ لكننا نسأل من أين وقعت هذه الرواية بيد أبي الفرج، فمن الراوي الذي أخبره بذلك؟ فابن الكلبي متوفى ٢٠٤هـ وأبو الفرج ما عاصره ولا رآه ولا سمع عنه! وكانت ولادته ٢٨٤هـ، فكيف نفسّر هذا الاضطراب في سند الخبر المفترض؟

بيّننا فيما سبق عن روايات ابن الكلبي في كتاب الأغاني، وعرضنا تحامل الأصفهاني على ابن الكلبي بالمرويات الضعيفة، ولم يكن كلامنا مجرد ادعاء عليه، بل دليلنا هو: من أخبر أبا الفرج بهذه الرواية؟ ولماذا لم يذكر اسم الراوي الذي أخبره حتى نترك أبا الفرج وندقق في شأن ذلك الراوي الذي أخبره، وإذا لم نعرفه، فنظن أنّ الأصفهاني نفسه وراء هذا الافتراض والعبث.

وكيف نصدق أن رواية هذا الخبر عن ابن الكلبي، وقد وصفه ياقوت قائلاً " لله درّ ابن الكلبي ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلّا وكان قوله أقوى حجة وهو مع ذلك مظلوم وبالفوارض مكلوم" (٣٦) وربما يكون ياقوت أطلق هذا الكلام بعد قراءته روايات الاغاني عن ابن الكلبي؛ لأننا لا نملك كتابا ضخما بهذا الحجم الكبير الذي جمع الروايات الصحيحة والمنحولة غيره؛ وكانت روايات ابن الكلبي في كتاب الأغاني ضعيفة غير مقبولة، لذلك أظنه قال عنه إنّه مظلوم ومهاجم من الآخرين بعد اطلاعه على ما دون أبو الفرج بلسان ابن الكلبي من روايات وأخبار.

وسرد أبو الفرج خبرا حكائيا غراميا عن امرئ القيس الملك، لا يخلو من المبالغات، قال: " أخبرني محمد بن القاسم عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من رجال الكوفة فسمروا عنده، ثم قال: ليحدثني كلّ رجل منكم أحديثه وأبدأ أنت يا أبا عمر. فقلت: أصلح الله الأمير! أحديث الحق أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث الحق. قلت: إن امرأ القيس آلى بالآلية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين؛ فجعل يخطب النساء... " (٣٧)

فالسند يجب أن نقف عليه لهذا الخبر الحكائي حتى نعرف أصحاح حصل ذلك أم لم يحصل، ففي سند هذا الخبر ذكر أبو الفرج أسم (محمد بن القاسم) تزدهم به مصادر أعلام الشخصيات! فهو بهذا الشكل يثير الشك والانتباه، فيا ترى من الذي قصده أبو الفرج منهم؟ ولماذا تعمد ذكر اسم مشابه لأسماء كثيرة دون أن يميّزه عن غيره، فهل فعل ذلك تسترًا لوضعه و إيهاما للقراء بأن الخبر روي إليه؟

لذلك نظنّ أن السند مفترض؛ وذلك لأسباب: وجدنا في كتاب الأعلام عشرات الأسماء قد سُميت بـ " محمد بن القاسم " (٣٨) وأنا سنقف على أسماء الشخصيات التي تحمل اسم (محمد بن القاسم) ممن كانوا معاصرين لأبي الفرج، وذلك من المحتمل أن أبا الفرج قد روي وقصد واحدا منهم. أمّا باقي الأسماء فتركناها لأنها بعيدة تاريخيا عن المدّة الزمنية التي عاشها أبو الفرج، فلذلك لم نقف عندها.

فإذا كان أبو الفرج قصد بـ (محمد بن القاسم) ابن الأنباري^(٣٩) الذي عاش في هذه المدة (٢٧١-٣٢٨هـ) وهو احتمال كبير أنه قصده، فلا يمكن أن يروي ابن الأنباري عن مجالد بن سعيد لأنه متوفى في سنة ١٤٤هـ، حيث لم يعاصره ابن الأنباري ولا رآه قط^(٤٠) ثم إذا كان أبو الفرج قصد بـ (محمد بن القاسم) ابن حبيب^(٤١) الذي عاش في هذه المدة (٢٨٣-٣٤٧هـ) وهو احتمال كبير أنه قصده، فلا يمكن أيضاً أن يروي عن مجالد ابن سعيد لأنه متوفى في سنة ١٤٤هـ حيث لم يعاصره ابن حبيب قط. وإذا كان أبو الفرج قصد بـ (محمد بن القاسم) ابن القرطي^(٤٢) الذي عاش في هذه المدة (٢٧٠-٣٥٥هـ) وهو احتمال ضعيف أنه قصده، فلا يمكن أن يروي عن مجالد بن سعيد لأنه متوفى في سنة ١٤٤هـ، حيث لم يعاصره ولا رآه قط ابن القرطي. وإذا كان أبو الفرج قصد بـ (محمد بن القاسم) ابن فاذشاه^(٤٣) الذي عاش في القرن الرابع (٣٨١...هـ) وهو احتمال ضعيف أنه قصده، فلا يمكن أن يروي عن مجالد بن سعيد لأنه متوفى في سنة ١٤٤هـ، حيث لم يعاصره ابن فاذشاه، ولا رآه قط.

أما الخبر، فلم أعثر عليه أصلاً في المصادر التي ترجمت أخبار امرئ القيس، وقد تفرّد أبو

الفرج بروايته.

ولو أنعمنا النظر في النصّ لوجدناه نصّاً أدبيّاً جميلاً، أكثر من كونه رواية تاريخية عن حياة الشاعر، وكان الأسلوب الذي طُرِحَ فيه أحياناً وممتعا في سرد الخبر بطريقة تجبر القارئ أن يلاحق السطر بعد السطر حتى يعرف نهاية لغز الحُكْم بين العشيقين. وأغلب ظننا أن هذه المحاورات التي جرت بينهما، كانت من عمل راوٍ حاذق يمتلك قدرة فنيّة كبيرة، وثقافة أدبية في هكذا قصص، فضلا عن موهبته في صناعة الأخبار.

المصادر والمراجع

- الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار ت ٥٢٥٦، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط٢: ١٩٩٦م.
- الأعلام، خير الدين الزركلي ت، مطبعة دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط١٥: ٢٠٠٢م.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٦٣هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وأصحابه، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢: ١٩٥٢م.
- الإيهام قراءة في منهجية الأغاني ومروج الذهب، يوسف طارق السامرائي، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: ٢٠١٢م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس الله سره، تحقيق: مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية إيران قم المقدسة، دت.
- حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، ط١٤: ١٩٢٥م.

- الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية ، الدكتور محمد القاضي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط١: ١٩٩٨م.
- ديوان حاتم الطائي ، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال ، دار الكتب الوطنية هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ط٣: ٢٠١٠م.
- ديوان ذي الإصبع العدواني ، جمعه وحققه: عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نايف الذليمي وخط أشعاره يوسف ذنون ، مطبعة الجمهور — الموصل: ١٩٧٣م.
- ديوان عدي بن زيد العبادي ، جمعه وحققه: محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع — بغداد ١٩٦٥م.
- سير أعلام النبلاء ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمازا الذهبي ، رتبّه واعتنى به: حسان عبد المتّان ، بيت الأفكار الدولية ٢٠٠٤م.
- شعر بني تميم في الجاهلية ، جمع وتحقيق: عبد الحميد محمود المعيني ، نادي القصيم الأدبي ، الإصدار السابع/١٩٨٢م.
- صورة بشار بن برد في كتاب الأغاني ، المرحوم محسن غياض ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٠ ، ١٩٧٠م.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢: ١٩٧٣م.
- في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، مطبعة فاروق ، ط٣: ١٩٣٣م.
- في الأدب العباسي ، المرحوم الدكتور علي الزبيدي ، دار الأديب عمان.
- لسان العرب ، العلامة ابن منظور ت ٧١١هـ ، دار صادر بيروت.
- المثالب ، هشام بن محمد بن السائب الكلابي ت ٢٠٤هـ ، تحقيق وتوثيق ودراسة ، إعداد: أمجد حسن سيد أحمد ، إشراف: الأستاذ الدكتور رانا محمد نصر الله إحسان إلهي ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من قسم اللغة العربية بجامعة بنجاب بلاهور (باكستان) ١٩٧٧م.
- المستقصى في أمثال العرب ، العلامة جار الله الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: المرحوم السيد عبد الرحمن خان والسيد محمد عبد المعيد خان ومصححي دائرة المعارف العثمانية.

الهوامش

- (١) الأغاني ٣٧٨/١٦
- (٢) أظنه خطأ مطبعي، وتكتّب هكذا (السهة) وكذلك بالشعر.
- (٣) المستقصى في أمثال العرب ١٤٧/١
- (٤) بحار الأنوار ٣٥٦/٤٠
- (٥) يُنظر: جمهرة الأمثال ١٤٢/١
- (٦) يُنظر: في الأدب العباسي ٣٧
- (٧) الأغاني ١٢٨/١٨
- (٨) الأعلام ٩٣/٤
- (٩) يُنظر: شعر بني تميم في العصر الجاهلي ٤٣
- (١٠) الأغاني ١٣٠/٢١

- (١) ينظر: الإيهام ٤٥٤،٤١٤
(٢) ينظر: الأعلام ٢٦١/٢
(٣) الأغاني ٣٨٧-٣٨٠/١٧
(٤) ديوان حاتم الطائي ١٥
(٥) لسان العرب، مادة: عفر ٥٩١/٤
(٦) الأغاني ٣٨٣-٣٨٢/١٧
(٧) الأخبار الموفقيات ٣٤٨
(٨) الأغاني ٢٥-٢٣/١٠
(٩) الخبر في الأدب العربي ٤٩٨
(١٠) الأغاني ٩٦-٩٤/٣
(١١) ديوان ذي الإصبع العدوانى ١٧
(١٢) الأغاني ٩٤/٣
(١٣) في الأدب الجاهلي ١٨٤
(١٤) حديث الأربعاء ١٩١/١
(١٥) الأغاني ٩٣-٩١/٣
(١٦) الأغاني ١٢٨/٢
(١٧) صورة بشار بن برد في كتاب الأغاني ١
(١٨) ديوان عدي بن زيد العبادي ٤٢
(١٩) الأغاني ١٣١-١٢٩/٢
(٢٠) طبقات النحويين واللغويين ١٩٤
(٢١) الأغاني ١٣١-١٢٩/٢
(٢٢) المصدر نفسه ١٣٣/٢
(٢٣) الأغاني ١٣٢-١٣١/٢
(٢٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٢٠/٣
(٢٥) الأغاني ١٣٣-١٣٢/٢
(٢٦) المثالب ٥
(٢٧) الأغاني ١٠٣-١٠١/٩
(٢٨) الأعلام ٣٣٥/٣٣٣/٦
(٢٩) المصدر نفسه ٣٣٤/٦
(٣٠) المصدر نفسه ٢٧٧/٦
(٣١) المصدر نفسه ٣٣٤/٦
(٣٢) المصدر نفسه ٣٣٥/٦
(٣٣) الأعلام ٣٣/٦